الخطاب المريمي بين النص القرآني والعهد الجديد

((دراسة أسلوبية مقارنة))

الأستاذ المساعد الدكتور
فاطمة عبد الأمير السلامي
الجامعة الإسلامية ـ كلية العلوم الإسلامية
fatimaalsalami12345@gmail.com

The Marian Discourse between the Qur'anic Text and the New Testament

A comparative stylistic study

Asst. Prof. Dr.
Fatimah AbduIameer Radhi AL Salami
The Islamic University - College of Islamic Science

الملخص:

سنقف في هذه الدراسة على أنموذج من النساء اللاتي ذكرهن القرآن الكريم وذكرن كذلك في الشرائع السماوية الأخرى، وسندرس هذه الشخصية، وكيف عبر عنها الخطاب القرآني، وبأية أساليب؟ وكذلك ندرسها في العهد الجديد، ومن ثم نقارن بين الأساليب المستعملة في النصوص وطريقة التعبير عنها، وهل كان التعبير القرآني قد نظر إليها نظرة دون الرجل أم أنصفها؟ وهذه الشخصية هي السيدة مريم العذراء عليها السلام.

واقتضت طبيعة البحث تقديم تنظير موجز عن مفهوم الدراسة الأسلوبية المقارنة قبل الشروع بجزئيات البحث الأخرى، والتي تتضمن تقسيم الدراسة على فقرات تعالج موضوعات محددة تتعلق بمريم عليها السلام وكيف ذكرت هذه الموضوعات في القرآن الكريم وفي العهد الجديد؟ وبأية أساليب لغوية؟ وما هي أبرز التقنيات الأسلوبية المستعملة؟ ومن ثم سنقارن بين هذه التقنيات الأسلوبية المستعملة بين هذين النصين الدينيين لنصل بعد ذلك إلى خاتمة البحث والتي سنحصد فيها ثمار هذه الدراسة الأسلوبية المقارنة.

الكلمات المفتاحية: السيدة مريم عليها السلام، النص القرآني، العهد الجديد، الأسلوبية، الدراسة المقارنة، المحور.

Abstract:-

In this research We will shade a light on an example of the women mentioned by the Holy Qur'an, and mentioned in other divine laws. We will study a character, how did the Qur'anic discourse express it, and in what ways? Likewise, we will study it within the New Testament. Then there will be comparing of the methods which used in the texts, with the way of expressing them, and try to discover whether the Qur'anic expression about her was less than the man, or it equal? This character is the Virgin Mary (peace be upon her).

The purpose of the research required presenting a brief theorizing on the concept of comparative stylistic study, that before proceeding on the other parts of the research, which includes dividing the study into paragraphs dealing with specific topics related to Mary (peace be upon her), and how these topics are mentioned in the Holy Quran and in the New Testament? With what language methods? And what are the main stylistic techniques used? Then we will compare these stylistic techniques used between these two religious texts, and then reach the conclusion of the research, in which we will reap the fruits of this comparative stylistic study.

Key words: Mary (peace be upon her), Qur'anic text, New Testament, stylistics, Comparative study, Axis.

المقدمة:

لقد ألفت العديد من الدراسات حول (الدين والمرأة) وكيف خاطب الدين النساء؟ وهل كانت الشرائع السماوية منصفة لحقوق المرأة أم لا؟ وانقسم الباحثون جراء ذلك إلى اتجاهات مختلفة فمنهم من يرى بأن الأديان السماوية قد أنصفت المرأة في المجتمع الإنساني بعد أن كانت المجتمعات الوثنية غير منصفة لها، إذ نجد بأن في كثير من المعتقدات الوثنية تتم التضحية بالنساء كقرابين للآلهة !! بينما ذهب آخرون إلى أن الدين قيد المرأة ولم ينصفها بل فرض عليها أموراً حدت من حريتها.

وامتدت هذه الدراسات لسنين طويلة إلى يومنا الحالي، إذ لكل باحث وجهة نظره التي يعبر بها عن أفكاره تجاه هذا الموضوع بحسب المرجعيات الفكرية التي نشأ عليها وصقلت شخصيته بها.

ومن أهم الدراسات الحالية التي ناقشت هذه القضية هي الدراسات التي بحثت في موضوع (الإسلام والمرأة) أكثر من الديانات السماوية الأخرى، وأكثر حجة دعت الباحثين - من مختلف بقاع العالم - إلى إثارة هذا الموضوع هي فكرة (ذكورية الخطاب القرآني)، فبرزت جراء ذلك دراسات كثيرة عن (النوع الاجتماعي) في العصر الحديث ترى بأن الإسلام قيد المرأة بقيود حدت من حريتها بعكس الرجل.

ولكي نتعامل مع هذا الموضوع بحيادية وموضوعية، سنقف في هذه الدراسة على إنموذج من النساء اللاتي ذكرهن القرآن الكريم وذكرن كذلك في الشرائع السماوية الأخرى، وسندرس هذه الشخصية، وكيف عبر عنها الخطاب القرآني، وبأية أساليب؟ وكذلك ندرسها في العهد الجديد، ومن ثم نقارن بين الأساليب المستعملة في النصوص وطريقة التعبير عنها، وهل كان التعبير القرآني قد قلل من شأنها ونظر اليها نظرة دون الرجل أم أنصفها؟! وهذه الشخصية هي السيدة (مريم العذراء عليها السلام).

وتقتضي طبيعة البحث تقديم تنظير موجز عن مفهوم الدراسة الأسلوبية المقارنة قبل الشروع بجزئيات البحث الأخرى، والتي تتضمن تقسيم الدراسة على فقرات تعالج موضوعات محددة تتعلق بمريم عليها السلام، وكيف ذكرت هذه الموضوعات في القرآن الكريم وفي

العهد الجديد؟ وبأية أساليب لغوية؟ وما هي أبرز التقنيات الأسلوبية المستعملة؟ ومن ثم سنقارن بين هذه التقنيات الأسلوبية المستعملة بين هذين النصين الدينيين، لنصل بعد ذلك إلى خاتمة البحث والتي فيها ثمار هذه الدراسة الأسلوبية المقارنة.

مفهوم الدراسة الأسلوبية المقارنة:ـ

لا يخفى على الباحثين كيف شغل مصطلح (الأسلوب) أذهان علماء اللغة والنقاد والأدباء في القرن العشرين، إذ انبرى جمع كبير منهم (عرب وأجانب) لتحديد مفهوم الأسلوب، وبيان مجالاته، ووضع معايير للتحليل الأسلوبي.

وبما أن تحديد كل مصطلح من المصطلحات يحتاج إلى معرفة الدلالة الأولى التي استعمل فيها هذا المصطلح، فقد تتبع الدارسون العرب الدلالة اللغوية لكلمة (أسلوب)، فوجدوا بأن العرب الأوائل استعملوها للدلالة على (السطر من النخيل)، وكذلك قالوا بأن: (كل طريق ممتد يسمى أسلوباً)، فالأسلوب (الطريق)، و(الوجه)، و(المذهب)... كذلك أطلقت هذه الكلمة في العربية على الفن إذ يقال: أخذ فلان في أساليب القول، أي في أفانين من القول [١].

أما في الانجليزية فنجد بأن كلمة (style) التي اشتق منها (stylistics) ترجع إلى الكلمة اللاتينية (stilus) والتي تعني (الريشة) أو (القلم) أو (أداة الكتابة) وجميع هذه المعاني خاصة بطريقة الكتابة، ومن ثم انتقلت من معانيها الخاصة بالكتابة واستخدمت في فن المعمار والنحت، ومن ثم عادت مرة أخرى إلى مجال الدراسات الأدبية [٢].

هذا بالنسبة للدلالة اللغوية لكلمة (أسلوب) أما كمصطلح، فقد تنوعت وتعددت تعريفات العلماء والدارسين المحدثين له، كل بحسب الزاوية التي اختار التعبير عنه بوساطتها، فمنهم من عرفه من زاوية المتكلم: بأنه الكاشف عن فكر صاحبه ونفسيته، ومن هنا برزت مقولة (الأسلوب هو الرجل) أو كما يقول بوفون: الأسلوب هو الانسان نفسه.

ومنهم من عرفه من زاوية المخاطب (المتلقي): بأنه ضغط سلط على المتخاطبين، وأن التأثير الناجح عنه يعبر إلى الاقناع أو الامتاع. أما آخرون فرأوا بأن الأسلوب من زاوية

الخطاب (أي النص نفسه) ما هو إلا الطاقة التعبيرية الناجمة عن الاختيارات اللغوية[٣].

وإذا ما عدنا إلى تراثنا العربي فإننا سنجد أمامنا قامة رفيعة متمثلة بـ(ابن خلدون) وقف عند كلمة الأسلوب في مقدمته وحدده بأنه:" عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه، ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض، وإن يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص... وتلك الصورة التي ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان، فيرصها فيه رصاً، كما يفعل البنّاء في القالب، والنسّاج في المنوال، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص فيه وتوجد فيه على أنحاء مختلفة "[٤].

ومن الواضح بأن ابن خلدون هنا قد راعى الزوايا الثلاث (التكلم، والمتلقي، والخطاب) عند تحديده لمعنى الأسلوب، فالأسلوب الكلامي عنده كـ(المنوال) أو (القالب) الذي يعمد اليه المتكلم فيفرغ فيه ما خُزِنَ في ذهنه من تراكيب لغوية، ولا تتم هذه العملية بشكل غير مقصود، لا بل يجب أن يكون ذلك (باعتبار انطباقها على تركيب خاص)، أي بحسب مقام الكلام وطبيعة المتلقي ومدى تأثير هذه التراكيب المختارة فيه، إذاً ينسجها نسجاً مقصوداً، ويبينها بناءً محكماً مؤثراً.

وهذا التعريف كما يرى الدكتور صلاح فضل، إنا هو اصطلاحي لا لغوي، إذ قدّم لنا المفهوم التركيبي الدقيق للأسلوب، وبهذا يكون قد سبق - بقرون - دخول الأسلوب في المصطلح النقدي الأوروبي [٥].

هذا بالنسبة لمفهوم الأسلوب أما ما يقصد بالدراسة الأسلوبية أو كيف يتم تحليل النصوص تحليلاً أسلوبياً؟! فأيضاً لم يغفل الدارسون ذلك بل كان تحديدهم لمفهوم الأسلوب بمثابة الخطوة النظرية الأولى ومن ثم تبعتها خطوات عدة تطبيقية حُدِدّت من خلالها معايير التحليل الأسلوبي في النصوص اللغوية، وميزوا بينه وبين التحليل التحليل،

فإذا كان التحليل اللغوي للنص يعتمد على تجزئة النص والوقوف عند كل جزئية من جزئياته التي بني منها وشرحها وبيانها بالتفصيل، فإن التحليل الأسلوبي يمتاز بأنه يقف عند التراكيب اللغوية المميزة في نص ما، أي تلك الاستراتيجيات التي يعمد إلى استعمالها مؤلف النص بقصد إثارة انتباه المتلقي واستجلاب عنايته وتفكيره، وهذا ما أكده ريفاتير بقوله:" فمن الضروري قبل كل شيء تجميع كل العناصر التي تمثل سمات أسلوبية، وبعد ذلك اخضاعها وحدها للتحليل اللساني مع إبعاد كل العناصر الأخرى (غير المناسبة أسلوبياً) عندئذ، وعندئذ فقط، يمكن تجنب الخلط بين اللغة والأسلوب " [٦].

وبما أن الدراسة الأسلوبية قد تعددت آلاتها وتنوعت، بين نظرية (تعنى بإرساء القواعد النظرية للمصطلح)، وتطبيقية (غايتها تعرية النص الأدبي وإظهار خصائصه وسماته)، ومقارنة (تعتمد المقارنة أساساً لها بحضور نصين أو أكثر بينهما عنصراً وعناصر مشتركة)[٧]، فقد اخترنا في هذه الدراسة أن ندرس (الخطاب المريمي) بين النص القرآني والعهد الجديد/ دراسة أسلوبية مقارنة، سنقف فيها عند أهم التقنيات الأسلوبية التي اعتمدها الخطاب القرآني عندما ذكر شخصية السيدة مريم عليها السلام، ومدى تأثير هذه التقنيات في متلقي النص الكريم بحيث قصد التعبير القرآني اختيارها دون غيرها في مواضع محددة، ومن ثم سنقارن بين هذه التقنيات الأسلوبية القرآنية وبين التقنيات الأسلوبية المختارة في نصوص العهد الجديد في بعض الاصحاحات التي ذكرت السيدة مريم عليها السلام.

وستكون هذه الدراسة عن طريق الوقوف عند أهم الموضوعات المختصة بالسيدة مريم عليها السلام والمذكورة في القرآن الكريم والعهد الجديد، وتحديدها بفقرات ومن ثم عقد المقارنة الأسلوبية بينها.

وتفصيل ذلك فيما يأتي:-

أولاً: محورية (مريم) عليها السلام وخصوصيتها بالاصطفاء:-

لاشك بأن كلمة (محور) في العربية تأتي في استعمالات عدة، إذ تطلق على العود من حدود أو غيره تدور عليه البكرة، أو تطلق على الخشبة التي يبسط بها العجين، أو على ما

يدور حوله إلا بريح، وفي الهندسة تطلق كلمة المحور على الخط المستقيم الواصل بين قطبي الكرة ومنه محور الأرض [٨].

إذن جميع المعاني السابقة تصب في معنى أساس وهو (مركزية) ما يطلق عليه (محور) بالنسبة لما حوله.

وعندما نأتي إلى الخطاب المريمي في القرآن الكريم سنجد بأن مريم عليها السلام كانت بمثابة (المحور) لما دار حولها من أحداث وموضوعات حصلت في زمانها وتعلقت بها، وخصوصاً قضية (اصطفائها) عليها السلام، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [٩]، نلاحظ بأن (المحور) في هذا الخطاب هو السيدة مريم عليها السلام إذ تم نداءها هي بذاتها (يا مريم) وتمت مخاطبتها من قبل الملائكة لمكانتها هي وللدرجة التي وصلت اليها بعبادتها ونسكها وتقربها إلى الله تعالى، وكذلك نلاحظ التأكيد على تخصيصها بالاصطفاء لذاتها هذا النص المبارك وذلك باستعمال أسلوب التوكيد (إنَّ) وممن كان هذا الاصطفاء والاختيار لها من الله سبحانه وتعالى جل شأنه، نلحظ الدرجة المباركة التي وصلت اليها مريم عليها السلام بذاتها وخصوصيتها بالاصطفاء الإلهي الذي كشفها لنا الخطاب القرآني هنا، ومن التقنيات الأسلوبية المهمة التي عززت هذا الاصطفاء وكشفت عنه للمتلقي - فضلاً عن أسلوبي النداء والتوكيد - هي الإحالات في هذا الخطاب، التي تعود أغلبها على مريم عليها السلام وتؤكد محوريتها في هذا النص، وبيان ذلك في المخطط المبسط الآتي:-

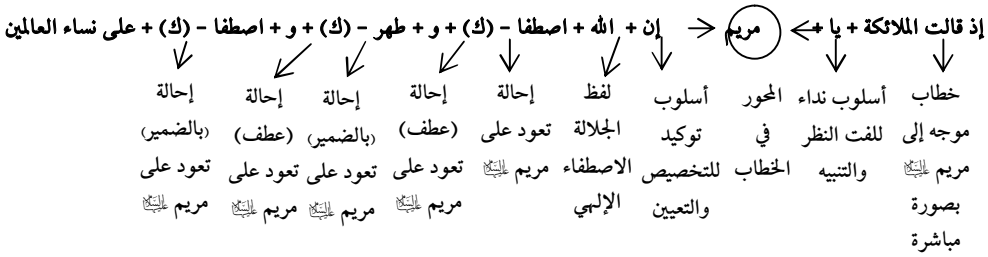

مخطط رقم (١)

أما تكرار (الاصطفاء) في الخطاب مرتين، فلا يعد الثاني تكراراً للأول لتأكيده وإثباته،

وإنما الاصطفاء الثاني هو اصطفاء آخر غير الأول [١٠]؛ ذلك بأن " الاصطفاء المتعدي بعلى يفيد معنى التقدم، وأنه غير الاصطفاء المطلق الذي يفيد معنى التسليم، وعلى هذا فاصطفاؤها على نساء العالمين تقديم لها عليهن... حيث لم تشتمل مما يختص بها من بين النساء إلا على شأنها العجيب في ولادة المسيح عليه السلام إن هذا وجه اصطفائها وتقديمها على النساء من العالمين " [١١]. أما الاصطفاء الأول فهو الاختيار لها من بين الجميع لذاتها، وهو اختيار مطلق يفيد معنى التسليم، أي تسليم العبد لأمر ربه تسليماً محضاً فيما يرتضيه له[١٢].

وقد جاء هذا الاصطفاء الإلهي لمريم عليها السلام استجابة لدعوة أمها في الآيات التي سبقت هذه الآية من سورة آل عمران [١٣]، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [٣٥] فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [١٤].

ومن التقنيات الأسلوبية في الخطاب القرآني هنا نلحظ بأن مريم عليها السلام هي المحور في هذا النص أيضاً إذ أكدت أم مريم عليها السلام نذرها لله تعالى بأن مولودها سيكون محرراً لعبادة الله تعالى وحده وخدمته " أي مخلصاً لخدمة بيت المقدس... واطلاق المحرر على هذا المعنى اطلاق تشريف لأنه لما خلص لخدمة بيت المقدس فكأنه حُرِّرَ من أسر الدنيا وقيودها إلى حرية عبادة الله تعالى " [١٥]، وعبر القرآن الكريم عن قصدها وتأكيدها بأسلوب التوكيد (إني) و (إنك) لتأكيد مرادها وبيانه في ذهن المتلقي.

أما استعمال أسلوب الخبر المؤكد المحكي على لسان مريم عليها السلام في الآية (٣٦) في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ فهو خبر أريد به الاشعار " بالتحسر والتحزن دون الإخبار وهو ظاهر " [١٦]. فبعد استعمال أسلوب التوكيد في التعبير عن تأكيد النذر ﴿إِنِّي نَذَرْتُ﴾ جاء التحسر هنا مؤكداً ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ فهي أنثى وهي التي تم تأكيد نذرها لله مسبقاً، وكأن اعتماد هذه التقنية هنا لإشعار المتلقي بخصوصية اختيار مريم عليها السلام، فالقرآن الكريم يشرح لنا الأمر بتفصيلاته وكيف يفضل البشر المولود الذكر غالباً، نعم هناك فروقات بدنية وتكريمية بينهما، ولكن

الله تعالى يفضل أحدهما على الآخر بتقواه وقربه من الله تعالى لا لذكورته أو لأنوثته، ودليل ذلك استعمال الخطاب القرآني أسلوب الاعتراض هنا بجملتين معترضتين جاءتا لتوضيح هذا التحسر والحزن المصحوب بالتساؤل ما العمل إذ إنها أنثى والمرجو أن يكون المحرر مولوداً ذكراً.

وهاتان الجملتان هما ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ و ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ ففي الجملة الأولى " قرأ الجمهور وضعتْ - بسكون التاء - فيكون الضمير راجعاً إلى امرأة عمران، وهو حينئذ من كلام الله تعالى وليس من كلامها المحكي والمقصود منه: أن الله أعلم منها بنفاسة ما وضعت، وأنها خير من مطلق الذكر الذي سألته، فالكلام إعلام لأهل القرآن وبتغليطها، وتعليم بأن من فوض أمره إلى الله لا ينبغي أن يتعقب تدبيره " [١٧].

" ومن هنا يظهر: أن قوله ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾، مقول له تعالى لا لامرأة عمران، ولو كان مقولاً لها لكان حق الكلام أن يقال: وليس الأنثى كالذكر لا بالعكس وهو ظاهر فإن من كان يرجو شيئاً شريفاً أو مقاماً عالياً ثم رزق ما هو أخس منه وأردأ إنما يقول عند التحسر: ليس هذا الذي وجدته هو الذي كنت أطلبه وأبتغيه، أو ليس ما رزقته كالذي كنت أرجوه، ولا يقول: ليس ما كنت أرجوه كهذا الذي رزقته البتة. وظهر من ذلك أن اللام في الذكر والأنثى معاً أو في الأنثى فقط للعهد " [١٨]. ومن المفسرين من يرى بأن هاتين الجملتين هما تتمة قول امرأة عمران [١٩]، وهذا ما لا تؤيده هذه الدراسة بحسب التقنيات الأسلوبية المعتمدة في الخطاب القرآني والذي تم بيانه أعلاه.

وبعد هاتين الجملتين الاعتراضيتين يعود الخطاب القرآني ليتم لنا قول أم مريم عليها السلام الذي ابتدأته، وذلك باعتماد أسلوب التوكيد مرة أخرى لتأكيد نذر أم مريم عليها السلام لمولودتها مع أنها أنثى وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

وقد تعددت معاني اسم (مريم) وتنوعت، واختلف في أصله الدارسون ففي عدد من المعاجم العربية ذكر أصحابها بأن (مريم) في العربية على وزن (مَفْعَل) كـ (مَقْعَد) وهو مشق من (ريم) وهو الزيادة والفضل، أو من (رام - يريم) بمعنى: برح [٢٠]،" يقال لا (رِمْتَ) أي لا برحت وهو دعاء بالإقامة أي لا زلت مقيماً "[٢١]، وبهذا تكون (مريم) كلمة

عربية تعني: ذات الفضل أو المقيمة على الخير [٢٢].

بينما ذهب الأغلب إلى أن (مريم) اسم، غير عربي، والقول بأنه عربي مشتق من (ريم) أو (رام) بأنه " اسم سامي قديم، مشترك بين اللغات السامية ومنها العربية، وهو وارد في القرآن الكريم (٣٤) مرة وسميت إحدى سوره باسمها " [٢٣].

"ويذكر قاموس الكتاب المقدس أن مريم اسم (عبري) معناه (العصيان) بمعنى الممتنعة العاصية على الذنوب، ويذكر جبرائيل فرح أن (مريم) اسم يمكن أن يرجع إلى جذور عبرية أو آرامية لأن الآرامية كانت مستخدمة في ذلك الوقت ولم يتفق شراح الكتاب المقدس على معنىً واحداً لهذا الاسم، وأنه في صيغته الآرامية يعني السيدة أو الملكة "[٢٤].

وبما أن " أصل اسم مريم (العهد القديم، ميريام) لا يزال غير محدد: فلا يوجد برهان قاطع على أنه من أصل مصري قديم، كما أنه لا برهان قاطعاً أنه من أصل سامي. وحين نأتي على التفسير الإتيمولوجي (معنى الاسم)، نرى تفسير الهاغادا اليهودي يساوي اسم ميريام بـ(المر) (المعنى نفسه في العربية)، ليربطوا الاسم بمرارة العبور إلى مصر. أما علماء التفسير المسلمون، كما فعل الطبري وغيره، فإنهم يقترحون معنى (العابدة) (الجارية) لاسم مريم. ويصف مايكل شاب محاولتي ربط اليهود الاسم بـ(المرارة) والمسلمين بـ(العبادة) بأنهما محاولتان اعتباطيتان. أما آرثر جفري صاحب كتاب الحديث والرائد، في غريب مفردات القرآن، فهو يؤكد " مما لاشك فيه أن اسم مريم يعود إلى العبرية لكن تشكيل اسم مريم العربي يدل أنه جاء عن طريق مسيحي سرياني، لا عن طريق عبري مباشر ". ولعل هذا الاسم في الآرامية يعني (أميرة) أو (سيدة)، ولعل الأصل السرياني مريامو (اسم فاعل) من الفعل (رومو)، قد تعني المرتفعة والسامية، من جذر ر – و – م، (المرتفع) كما يشير القاموس السرياني العربي إلى ذلك " [٢٥].

وفي استعمال صيغة فعل المضارع (أعيذها) مع أسلوب التوكيد (إني) " دلالة على طلبها استمرار الاستعاذة دون انقطاعها، بخلاف. وضعتها، وسميتها، حيث أتى بالخبرين ماضيين لانقطاعهما. وقوله ﴿وَذُرِّيَّتَهَا﴾ معطوف على الضمير المنصوب في أعيذها. وفي التنصيص على إعاذتها وإعاذة ذريتها من الشيطان الرجيم، رمز إلى طلب بقائها على قيد الحياة حتى تكبر وتكون منها ذرية صالحة " [٢٦].

وهنا تتضح محورية السيدة مريم عليها السلام في قضية الإعاذة من الشيطان الرجيم، فادعاء المؤكد هنا من أمها لها بصورة خاصة (أعيذها) فالهاء (إحالة) ضمير يعود على مريم عليها السلام، والإعاذة تكون من قبل الله تعالى حصراً (بك) ومن ثم تم عطف إعاذة ذريتها عليها وتفصيل ذلك في المخطط المبسط الآتي:-

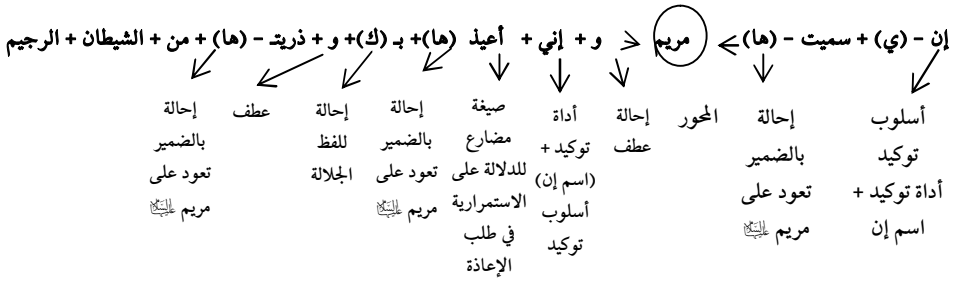

مخطط رقم (٢)

أما حين نأتي للعهد الجديد ونتتبع الأناجيل الأربعة (بنسختها العربية)، ونبحث عن موضوع اصطفاء مريم عليها السلام وما ورد بخصوص هذا الموضوع فإننا لا نجد أمامنا ذكر مريم عليها السلام بخصوص موضوع اختيارها من بين النساء سوى ما ورد في رواية لوقا في إنجيله بأن الملائكة عندما كلمتها وبشرتها بولادة السيد المسيح قال لها الملاك " سلام لك أيتها المنعم عليها. الرب معك. مباركة أنت في النساء "(٢٧).

الفرق واضح بين أسلوب النص القرآني وبين ما ورد في إنجيل لوقا، فالتعبير بحسب رواية لوقا جاء بأسلوب بسيط جداً، فهو أسلوب خبري لا وجود للتقنيات الأسلوبية التي تشير لفت انتباه المتلقي إلى الخبر المذكور، إذ سلم عليها (سلام لك) وخصها بالسلام (لك)، ومن ثم جاء ذكر (أيتها المنعم عليها) بأسلوب البناء للمجهول، دون تصريح من أنعم عليها وكيف تم ذلك، وبعدها استمر في توجيه الخطاب اليها (الربُ معك) والفرق جلي هنا بين أسلوب القرآن الكريم عندما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ فالاصطفاء والطهارة من (الله) جل جلاله لبيان علو شأنها ومكانتها وليس الأمر

مغيباً وعلى شكل إشارات وومضات كما تذكر رواية لوقا وفي نهاية خطاب الملاك لمريم عليها السلام يقول (مباركة أنت في أو (فوق) النساء) فبما أن الرب معها فهي بذلك مباركة ببركاته في النساء، وفي هنا ظرفية، أما في ترجمة أخرى (فوق) النساء أي أعلى منهن مرتبة لكونها ستلد المسيح عليه السلام.

والفرق واضح وجلي بين التعبير بكلمة (اصطفاك) وبين كلمة (مباركة) فالاصطفاء كما بينا الاختيار فهو الصفوة من الشيء وفي ذلك بيان لفضل مريم عليها السلام وخصوصيتها بالاصطفاء الإلهي، أما (مباركة) فلا خصوصية في هذا التعبير فالبركات الإلهية تنزل من السماء رحمة لجميع العباد، فالله تعالى هو الرحمن الرحيم فهي مباركة وغيرها مبارك أيضاً، ولذلك نرى الأخوة المسيح كثيراً ما يستعملون عبارة (باركك الرب) خصوصاً في الكنائس. وحتى عن ذكر هذه الحادثة في انجيل لوقا فهو ذكر سريع جداً لم نجد غيره والنصوص التالية له تخص ولادة المسيح عليه السلام، إذ ذكر مريم عليها السلام في العهد الجديد بخصوص هذا الموضوع أي الاختيار والاصطفاء المقصود لها من قبل الله تعالى لتكون هي وابنها آية للعالمين لم تتم الإشارة اليه سوى في هذا النص وبأسلوب خبري مباشر يتبين لنا من خلاله بأنها مباركة لكونها ستلد المسيح، أي لا خصوصية لها هي بذاتها في ذلك الاختيار الإلهي لها.

هذا بخصوص الترجمة بأنها (المنعم عليها)، أما في ترجمات أخرى اعتمدتها الكنائس الأخرى التي تؤمن بعقيدة (الحبل بلا دنس) - والتي سنبينها في الفقرة القادمة - فترجمة هذا النص عندهم مختلفة، إذ وردت هكذا (يا ممتلئة نعمة) لوقا، ١، ٢٨، اثار هذا الخلاف في الترجمة نقاشاً علمياً استمر إلى يومنا هذا بين الدارسين والباحثين من المسيح انبثقت منه دراسات جمة، منها ما أيدت الترجمة الأولى والتي ترى بأنها عليها السلام (منعم عليها) بفضل ولادتها للسيد المسيح عليه السلام، ومنها ما أيدت الترجمة الثانية والتي ترى بأن المقصود من عبارة (الممتلئة نعمة) هو أن النعمة تجعل الشخص مرضياً تماماً أمام الله وهو أقرب إلى الله من الآخرين وعلى هذا الأساس تؤكد هذه الدراسات على شفاعة السيدة مريم عليها السلام، وترى بأن الامتلاء بالنعمة يخالف تماماً حالة الخطيئة التي ذكرها الآخرون [٢٨].

أما من الناحية اللغوية فالتعبير بـ (المُنعَم) بصيغة (اسم المفعول) يختلف من حيث المراد عن التعبير بـ (المُمتَلِئَة) بصيغة (اسم الفاعل)، إذ في صيغة اسم المفعول يفهم بأن الإنعام

عليها عليها السلام كان قد وقع عليها بإرادة الله سبحانه وتعالى ويمكن أن يكون هذا الأمر عليها أو لأجل ولادتها للسيد المسيح عليه السلام، أما في صيغة اسم الفاعل (ممتلئة) فيفهم بأنها عليها السلام، متصفة بهذه الصفة، إذ لازمتها النعمة حتى امتلأت بها وصارت وصفاً لذاتها، أي أن الله سبحانه وتعالى أعطاها هذه المنزلة لذاتها والكمالات التي تمتعت عليها السلام بها وليس لمجرد ولادتها للسيد المسيح عليه السلام.

ومع هذا الفرق الجلي من حيث اللفظ والمعنى بين الترجمتين الا أن التعبير القرآني - كما بينا سابقاً - كان أدق في الوصف واختيار الكلمات ونظمها بأسلوب راقٍ معجز لم يستطع أحد الإتيان بمثله أو التعبير عن السيدة مريم عليها السلام، وبيان مقامها وعلو شأنها.

وقد تكرر ذكر كون مريم عليها السلام مباركة في العهد الجديد، وذلك على لسان اليصابات امرأة زكريا عليه السلام حين استقبلتها، إذ قالت " مباركة أنت في النساء، ومباركة هي ثمرة بطنك " (٢٩)، وهي تحية تقليدية كانت متداولة بين نساء اليهود، ولا خصوصية لها بمريم عليها السلام وإن كانت بعض الترجمات المعاصرة ذكرتها هكذا (مباركة أنت (فوق) كل النساء) (٣٠).

وبهذا نلحظ ندرة ذكر مريم عليها السلام في الأناجيل الأربعة المعتمدة في العهد الجديد، بينما نجد القرآن الكريم أكثر ذكراً لها وأعمق في تحريه بجوانب الثناء عليها عليها السلام، ويبدو بأن كتبة الانجيل لم يشاؤوا أن يثنوا عليها، أو يتطرقوا إلى سيرتها وحياتها، لأسباب لا مجال لذكرها هنا (٣١).

ثانياً: بين مفهوم (الطهارة) وعقيدة (الحبل بلا دنس):-

لقد تم التصريح بطهارة السيدة مريم عليها السلام في القرآن الكريم بدليل قوله تعالى، على لسان الملائكة ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾، وقد تعددت آراء المفسرين لمفهوم كلمة (طهرك) هنا، كل بحسب فهمه للنص الكريم وبحسب مرجعياته الفكرية التي تبناها، وقد ذكر لنا هذه الآراء الرازي في تفسيره إذ يقول:

" وإما التطهير ففيه وجوه أحدها: أنه تعالى طهرها عن الكفر والمعصية... وثانيها: أنه تعالى طهرها من مسيس الرجال وثالثها: طهرها عن الحيض، قالوا: كانت مريم لا تحيض ورابعها: وطهرك من الافعال الذمية، والعادات القبيحة وخامسها: وطهرك عن مقالة اليهود

وتهمتهم وكذبهم"[٣٢].

فهي عليها السلام مطهرة مادياً ومعنوياً، أي طهارتها مطلقة هنا، والدليل على ذلك من ذات النص القرآني المبارك: إذ عمد القرآن الكريم إلى استعمال تقنية أسلوبية هنا للفت نظر المتلقي إلى خصوصية مريم عليها السلام بالطهارة لذاتها، كما بينا كيف استعمل القرآن الكريم تقنيات أسلوبية كشفت عن اصطفاء مريم عليها السلام لذاتها ومحوريتها في ذلك وهذه التقنية هي الإحالة بالعطف هنا [الواو] وبما أن الواو تدل على مطلق الجمع بين أمرين واشتراكهما معاً، وليست للترتيب إلا أننا نلحظ بأن الأولوية للأمر الأول هنا[٣٣]، لا يتبين بأن الله تعالى جل شأنه قد جمع في مريم عليها السلام (الاصطفاء) و (الطهارة)، وتم تقديم الاصطفاء لكونه مطلقاً هنا، إذ اختصها بالاختيار والانتقاء لتكون قدوة للآخرين يقتدون بها، ويسيرون على خطاها. هذا من جهة ومن جهة أخرى تأتي الإحالة الثانية وهي [الواو] الثانية بعد كلمة (طهرك) لتربط الطهارة بقضية ثانية تتعلق بها وهي (اصطفاء مريم عليها السلام على نساء العالمين) بولادة المسيح من غير أب بمعجزة من الله تعالى إذ طهرها الله من جميع ما قاله اليهود فيها واتهموها به.

وبهذا تكون الإحالة بالواو هنا قد لفتت انتباه المتلقي بشكل كبير، إذ ربطت بين مرحلتين من حياة مريم عليها السلام الأولى اصطفاءها في أول حياتها والثانية اصطفاءها بولادتها للمسيح عليه السلام، فتوسط كلمة (طهرك) في هذا الموضوع من الآية الكريمة جاء بقصد لفت انتباهنا كمتلقين للنص المبارك بأن طهارة مريم عليها السلام كانت من جميع النواحي والأوقات ولم تقتصر على موضوع واحد أو قضية واحدة أو في مرحلة عمرية واحدة، والله العالم.

فهي مطهرة بتول، ويؤكد ذلك ما ذكره الشيخ الصدوق في معاني الأخبار " حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا أحمد بن محمد، قال: حدثني أبو الطيب، قال: حدثني عيسى بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن آبائه، عن عمر بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: إن النبي صلى الله عليه وآله سُئِلَ: ما البتول؟ فإنا سمعناك يا رسول الله تقول: مريم بتول وفاطمة عليها السلام بتول؟ فقال: البتول لم ترَ حمرة قطُّ أي لم تحض، فإن الحيض مكروه في بنات الأنبياء " [٣٤].

وقد ذكر بعض المفسرين بأن المقصود بـ(طهرك) هنا الطهارة من (السفاح) على ذلك برواية الحكم بن عينة قال: " سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله في الكتاب ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾. اصطفاها مرتين، والاصطفاء إنما هو مرة واحدة، قال: فقال لي يا حكم إن لهذا تأويلاً وتفسيراً، فقلت له ففسره لنا أبقاك الله، قال: يعني اصطفاها إياها أولاً من ذرية الأنبياء المصطفين المرسلين، وطهرها من أن يكون في ولادتها من آبائها وأمهاتها سفاحا واصطفاها بهذا في القرآن ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ شكراً لله ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وآله يخبره بما غاب عنه من خبر مريم وعيسى يا محمد ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ في مريم وابنها وبما خصهما الله به وفضلهما وأكرمهما حيث قال: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ يا محمد يعني بذلك لرب الملائكة ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ حين ائتمت من أبويها ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ يا محمد ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في مريم عند ولادتها بعيسى يكفلها ويكفل ولدها قال: فقلت له أبقاك الله فمن كفلها؟ فقال: أما تسمع لقوله الآية.

وزاد عليّ من مهزيار في حديثه " فلما وضعتها قلت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم " قال: قلت: أكان يصيب مريم ما يصيب النساء من الطمث؟ قال: نعم ما كانت إلا امرأة من النساء " (٣٥).

ومما يلاحظ في هذه الرواية بأنه تم حصر معنى (الطهارة) هنا بأن الله سبحانه وتعالى (طهرها من أن يكون في ولادتها من آبائها وأمهاتها سفاحاً)، أي الطهارة تتعلق بولادتها هي عليها السلام فقط من دون ذكر علاقة (الطهارة) بولادة المسيح عليه السلام، إذ جهل الكلام في هذه الرواية عن بيان معنى الاصطفاء، فالحكم سأل الإمام عليه السلام عن ذلك وأجابه الإمام عليه السلام بتفصيل ذلك مع الإشارة إلى موضوع الطهارة في هذه العبارة التي تتعلق بولادة مريم عليها السلام فقط.

بينما لاحظنا بأن موضوع كلمة (طهرك) في النص القرآني يراد منه التعلق بجميع مراحل حياتها لا مرحلة ولادتها عليها السلام فقط وما يترتب على ذلك من طهارة آبائها وأمهاتها عليهم السلام.

أما الزيادة الواردة في الرواية التي يطرح فيها الحكم سؤاله الثاني على الإمام عليه السلام وهو (أكان يصيب مريم ما يصيب النساء من الطمث؟ قال: نعم ما كانت إلا امرأة من النساء)، فيبدو عليها الضعف، إذ الكلام هنا عن تفسير الآية ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ فلم يتم تفسير هذه الآية، بل تم إلحاق السؤال مباشرة وهو في غير موضعه هنا، وحتى جواب الإمام: (نعم ما كانت إلا امرأة من النساء)، فالاستثناء المخرج هنا يشعر المتلقي بأن جميع النساء يكون فيها ذلك ولا تستثنى واحدة منهن، بينما عندنا روايات صحيحة موثوقة تؤكد بأن سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام كانت مطهرة من الطمث، بعد أن أكد القرآن الكريم على طهارتها عليها السلام في آية التطهير ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[٣٦].

فبحسب التحليل الأسلوبي لأهم التقنيات الأسلوبية الواردة الرواية السابقة والتي تتعلق بموضوع (الطهارة) يظهر لنا ضعف متنها، أما من ناحية السند، فيرى السيد الخوئي قدس سره بأن الحكم بن عينية (عتيبة) لا يعتمد بروايته إذ يقول:" لا شبهة في ذم الرجل، وانحرافه عن أبي جعفر عليه السلام، لكنه مع ذلك حكم الشيخ النوري بوثاقته في النقل لرواية الآجلة عنه، ولكنك قد عرفت فيما تقدم أنه لا دلالة في ذلك، فالرجل لا يعتمد بروايته"[٣٧].

وبهذا تكون هذه الرواية ضعيفة متناً وسنداً، ويتأكد عندنا بأن مريم عليها السلام (مطهرة) لذاتها ولتقواها وعبادتها لله تعالى، وطهارتها شاملة أي مادية ومعنوية ولجميع مراحل تكوينها وحياتها.

هذا بالنسبة لمفهوم (الطهارة) مريم عليها السلام في القرآن الكريم والفكر الإسلامي، إذ تم التعبير عن ذلك صراحة في القرآن الكريم وتنوعت آراء المفسرين والعلماء والمفكرين في تفسير معناه، أما بالنسبة لهذا المفهوم في العهد الجديد فلم نجد أي ذكر له بشكل صريح وبأسلوب مباشر في الأناجيل الأربعة المعتمدة حالياً، ولكننا وجدنا ما يقترب من هذا المفهوم عند من يؤمن بعقيدة (الحبل بلا دنس) من الأخوة المسيح، ويقصد بها بأن مريم عليها السلام حبلت بعيسى عليه السلام بلا دنس من الخطيئة الأصلية، إذ " يعتقد المسيحيون بكل طوائفهم أن الخطيئة الأصلية تتوارثها الأجيال منذ بدء الخليقة متسلسلة إلى جميع أفراد الجنس البشري، أما الكاثوليك فيضيفون أن مريم العذراء وحدها قد وجدت منزهة عن هذه الخطيئة، فهي التي دخلت إلى العالم وهي ممتلئة بالنعمة وذلك منذ لحظة الحبل بها

من أبويها، وهذه النعمة الخاصة قد أعُطيت لها بصفة فريدة واستثنائية نظراً لاستحقاقات ابنها المسيح الفادي، لذلك وجب أن تكون تلك الأم التي سيأخذ منها طبيعته البشرية، طاهرة وبريئة من كل دنس وخطيئة، ومن هنا نتج ضرورة منح العذراء - بالرغم من كونها حبل بها طبيعياً كأي انسان بشري - امتيازاً خاصاً - يحررها من الخطيئة الأصلية التي يتوارثها الجنس البشري، وهكذا تكون العذراء قد تمتعت بالنعمة المبررة وهي بعد في أحشاء أمها "[٣٨].

علماً بأن الدنس في هذه العقيدة لا يقصد به " الجماع الزواجي القائم على الاتصال الجنسي بين الرجل والمرأة، فإن الزوجين حين يمارسان هذا الفعل فإنهما يتسمان إرادة الله الأمرة " (انموا وأكثروا واملأوا الأرض) ولا يترتب على ذلك خطيئة أو دنس... فإن الخطيئة الأصلية هي حالة في النفس لا يمكن أن تتوارث عن طريق الجسد، إنها حالة الطبيعة البشرية الخاطئة في حق الله، وينغمس فيها كل انسان باعتباره فرداً من أفراد الطبيعة البشرية الخاطئة "[٣٩].

ونفهم من هذا بأن هذه العقيدة ترى بأن مريم عليها السلام لا فضل لها هنا، ولم تحصل على الاصطفاء والطهارة لكونها استحقتها وتكاملت إلى أن وصلت إلى هذه الدرجة العالية من الإيمان بالله تعالى فوهبها الله تعالى إياها - كما فهمنا ذلك في الشريعة الإسلامية - بل الاختيار الالهي قد وقع عليها وتم تنزيهها من الخطيئة والدنس لكونها ستكون أماً للسيد المسيح، إذن تكريمها هنا تبعاً للسيد المسيح وليس لشخصها عليها السلام.

ثالثاً: بين السيادة على النساء والنبوة:-

اختلف الدارسون والباحثون منذ قرون عدة حول هذا الموضوع، ألا وهو (نبوة مريم عليها السلام) وانقسموا بذلك إلى مؤيدين ومخالفين، ولم يقتصر الأمر على شريعة واحدة إذ نجد أمامنا مفسري القرآن الكريم من المسلمين قد ذهب فريق منهم إلى أن مريم عليها السلام نبية[٤٠]، بينما ذهب فريق آخر إلى نفي ذلك [٤١].

أما المسيحيون فكذلك الأمر عندهم بين مؤمن بأنها نبية أوحي اليها وبين نافٍ لهذا الأمر.

وفي الحقيقة لم يصرح كلاً من (النص القرآني) ولا الأناجيل الأربعة المعتمدة في (العهد الجديد) بنبوة مريم عليها السلام، وأن أكثر دليل اعتمد عليه الباحثون من المسلمين والمسيح على أنها (نبية) هي تكليم الملائكة لها بدليل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٤٢)، ﴿رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (٤٣)، وكذلك ما ورد في رواية لوقا في انجيله بأن الملائكة كلمتها وبشرتها بولادة يسوع وذلك في الاصحاح الأول، فدخل اليها الملاك وقال: (سلام لك أيتها المنعم عليها ! الرب مَعَكِ. مباركة أنت في النساء) (٤٤).

وهذا الدليل غير كافٍ؛ ذلك بأن تكليم الملائكة لبعض البشر الذين اصطفاهم الله تعالى وكرمهم وميزهم من غيرهم لا يجعل منهم أنبياء بالضرورة، فهو صورة من صور الوحي الالهي بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (٤٥)، إذ هناك وحي للأئمة وللمختارين وللأوصياء وكذلك وحي لبعض المخلوقات الأخرى مثل النحل كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (٤٦)، وغيرها.

إذ يمكن القول بأن الله سبحانه وتعالى يصطفي بعض البشر ويختارهم ويفضلهم على الآخرين بحسب درجة التكامل التي وصلوا اليها فأوحى اليهم وليس كل من أوحى اليه الله تعالى نبياً بالضرورة.

ومن هنا تترجح عندنا القول بعدم نبوة مريم عليها السلام.

هذا بالنسبة للدليل المشترك بين المسلمين والمسيح أما ما انفرد به المسيحيون من أدلة على نبوة مريم عليها السلام باعتمادهم على أناجيل غير هذه الأناجيل الأربعة المعتمدة في المذهب المسيحي وقد نشط من يذهب بهذا الرأي في العهد الحديث كثيراً حتى ظهرت ما تسمى بالدراسات المريمية أو علم الموبولوجيا ودليلهم على نبوتها اعتمادهم على عبارة (ممتلئة نعمة) التي وردت في بعض ترجمات العهد الجديد وقد أشرنا اليها سابقاً.

الخاتمة:ـ

في ختام هذه الدراسة نخلص إلى النتائج الآتية:-

- أكدت هذه الدراسة على أن القرآن الكريم قد أنصف المرأة، ولم يضعها في مرتبة دون الرجل إذ لا فرق بين الرجل والمرأة إلا بالتقوى والعمل الصالح، ومثلما ذكر التعبير القرآني نماذج من الرجال الصالحين بغية الاقتداء بهم والسير على طريقتهم للوصول إلى الصراط المستقيم ذكر ايضاً نماذج من النساء الصالحات اللاتي تميزن بصفات وكمالات بلغن بها درجة عظيمة عند الله سبحانه تعالى حتى فاقت مرتبتهن نساء ورجالاً كثيرين، ومن أهم هذه النسوة اللاتي ذكرن في النص القرآني هي السيدة مريم العذراء عليها السلام.

- عمل النص القرآني على إبراز الصفات الذاتية للسيدة مريم عليها السلام، وذلك من خلال الاعتماد على أساليب لغوية ميزتها وأظهرتها على أنها (المحور) في الموارد التي ذكرت فيها، وفي هذا إبلاغ للمتلقي بأنها عليها السلام قد خُصَّت بهذه المرتبة لكونها (مريم) ولما تحلت به من إيمان وتقوى فكان الاصطفاء الإلهي لها لذاتها وكذلك طهرها الله تعالى لذاتها وليس لكونها أماً للنبي عيسى عليه السلام، كما ورد في العهد الجديد.

- قدّم النص القرآني صورة مشرقة ناصعة للسيدة مريم عليها السلام، في جميع المواضع التي ورد فيها ذكرها في السور القرآنية وبأسلوب راقٍ بوساطة تقنيات لغوية قيمة كشفت عن مكانة السيدة مريم عليها السلام عند الله سبحانه وتعالى، في حين عندما بحثنا في الأناجيل الأربعة المعتمدة في العهد الجديد وفي أكثر من نسخة لم نجد إلا مواضع قليلة جداً ذكرت فيها السيدة مريم العذراء عليها السلام وأكثرها في (انجيل لوقا في الإصحاح الأول)، وعندما درسنا التعبير الأسلوبي - بحسب اختلاف الترجمة في النسخ العربية للعهد الجديد - وجدنا بأن الفرق واضحاً جلياً بين التعبير القرآني (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وبين التعبير المستعمل في نسخ العهد الجديد (هي عبارة عن ترجمات بشرية لم تثبت صحتها، كانت وما زالت محل نقاش بين الدارسين عبر الأزمان).

- عند المقارنة الأسلوبية بين النص القرآني ونصوص العهد الجديد (باللغة العربية) نجد بأن صورة مريم العذراء عليها السلام تكاد تكون مبهمة غير واضحة في نصوص العهد الجديد بخلاف النص القرآني ولم تعط هذه المنزلة إلا لكونها ستكون أماً للمسيح عليه السلام، باستثناء من يؤمن بعقيدة الحبل بلا دنس من الأخوة المسيح.

هوامش البحث

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (سلب)، ٤٧٠/١ - ٤٧١.
(٢) ينظر: علم الأسلوب، مبادئه واجراءاته، صلاح فضل: ٩٣، والأسلوبية مدخل نظري ودارسة تطبيقية، د. فتح الله أحمد سليمان: ٣٩.
(٣) ينظر: النص والأسلوبية، عدنان بن ذريل: ٤٤.
(٤) مقدمة ابن خلدون: ١٢٩٠/٥.
(٥) ينظر: علم الأسلوب، مبادئه واجراءاته: ٩٤.
(٦) معايير تحليل الأسلوب، ميكائيل ريفاتير، ترجمة: د. حميد الحمداني: ١٧.
(٧) ينظر: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية: ٣٢ - ٤٣.
(٨) ينظر: المعجم الوسيط: ٥٧٢.
(٩) سورة آل عمران آية: ٤٢.
(١٠) من المفسرين من يرى بأن الاصطفاء الثاني تأكيد للأول، ومنهم من يرى غير ذلك، تلك الآراء ذكرها الشوكاني في تفسيره: ٣٣٨/١.
(١١) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي: ٣/ ١٤٤ - ١٤٥.
(١٢) ينظر: تفسير الفخر الرازي: ٤٦/٨ - ٤٧، والميزان: ٣/ ١٢٦.
(١٣) ينظر: الميزان: ٣/ ١٣٤.
(١٤) سورة آل عمران آية: ٣٥ - ٣٦.
(١٥) تفسير التحير والتنوير، ابن عاشور: ٢٣٢/٣.

(١٦) الميزان: ١٣٢/٣.
(١٧) تفسير التحرير والتنوير: ٢٣٣/٣.
(١٨) الميزان في تفسير القرآن: ١٣٢/٣ - ١٣٣.
(١٩) ينظر: تفسير الرازي: ٢٨/٨، روح المعاني، الآلوسي: ١٨١/٣.
(٢٠) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٢٤٠/٤.
(٢١) مختار الصحاح، الرازي: ١٦٥.
(٢٢) معجم أسماء العرب، إضاءة ونقد، أ.د. عبد العزيز مطر، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، ع ١٤، ص ٧٤، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م، بتصرف.
(٢٣) المرجع نفسه: ٧٤.
(٢٤) مريم ابنة عمران في المسيحية والإسلام دراسة مقارنة، عوني فتحي سليم، رسالة ماجستير في العقيدة الإسلامية كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٨: ١٦.
(٢٥) السيدة مريم في القرآن الكريم، قراءة أدبية، حسن عبود: ٩٧ - ٩٨، نقلاً عن مصادر أجنبية.
(٢٦) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد محمد طنطاوي: ٨٩.
(٢٧) العهد الجديد، انجيل لوقا، ٢٨٦١، وهي ترجمة الفانديك وهي ترجمة دقيقة جداً من الناحية المرجعية لأنها تحتل النص التقليدي اليوناني وهي أيضاً دقيقه لغوياً ولكن هذا لا يعني أن عباراتها اللغوية لا يوجد بها خطأ فقد يوجد بها تعبير غير دقيق، ولكن في المجمل العام هذه الترجمة دقيقة جداً من الناحية المرجعية ودقيقة من الناحية اللغوية إلى حد ما، وتقسم التراجم من الناحية اللغوية على ثلاثة أنواع ترجمة حرفية، وترجمة حرة، وترجمة ديناميكية.
ولذا نجد أساساً ترجمات عدة لهذا النص من اليونانية إلى العربية وفيه اختلاف في التعبير تبعاً لاختلاف الترجمة، اعتمدنا على أدقها أعلاه يجب ما وجدناه عند الأخوة المختصين من المسيح - ونذكر الترجمات الأخرى هنا:
اليسوعية ٢٨ فدخل اليها فقال: " افرحي، ايتها الممتلئة نعمة، الرب معك".
البولسية لوقا-١ - ٢٨: فلما دخل (الملاك) اليها، قال لها: " السلام عليكِ، يا ممتلئة نعمة، الرب معك ".
الكاثوليكية لوقا - ١ - ٢٨: فدخل اليها فقال: " افرحي، أيتها الممتلئة نعمة، الرب معك ".
الحياة ٢٨ فدخل الملاك وقال لها: "سلام، ايتها المنعم عليها الرب معك مباركة أنت بين النساء".
السارة: ٢٨ فدخل اليها الملاك وقال لها: " السلام عليكِ، يا من أنعم الله عليها، الرب معكِ ".
للتفصيل أكثر ينظر: قائمة المقالات الخاصة بالكتاب المقدس، (المنعم عليها أم الممتلئة نعمة) لوقا ح؛ ٢٨.
(٢٨) ينظر: عقيدة: الحبل بلا دنس - www.Peregabril.com .
(٢٩) العهد الجديد، لوقا ١، ٤٢ .
(٣٠) ينظر: حسني يوسف الأطير، سر مريم بين الانجيل والقرآن: ١٨.

(٣١) للتفصيل أكثر في هذا الموضوع، ينظر: المرجع – ١٠ – نفسه: ١٨ – ٢١ وما بعدها.
(٣٢) تفسير الفخر الرازي: ٤٧/٨.
(٣٣) ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي: ١٩٣/٣ .
(٣٤) معاني الأخبار، الصدوق: ٦٢/١.
(٣٥) تفسير العياشي، العياشي: ١٧٣/١.
(٣٦) سورة الأحزاب آية: ٣٣ .
(٣٧) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي قدس سره: ١٨٤/٧.
(٣٨) مريم العذراء المنزهة من الخطيئة الأصلية، القمص باسيلي فانوس: ١٥.
(٣٩) المرجع نفسه: ١٣.
(٤٠) ان الله اصطفاك، ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٨٢/٤ – ٨٣.
(٤١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٤٥٧/٢، مجمع البيان، الطبرسي: ٣/ ٢٩٠ – ٢٩١.
(٤٢) سورة آل عمران آية: ٤٥.
(٤٣) سورة مريم آية: ١٩.
(٤٤) العهد الجديد، لوقا، ١، ٢٨ .
(٤٥) سورة الشورى آية: ٥١.
(٤٦) سورة النحل آية: ٦٨.

مصادر ومراجع البحث

- التبيان في تفسير القرآن، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٩ هـ. ق.
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر (ابن عاشور)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.
- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت ٦٠٤ هـ)، دار الفكر، ط١، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.
- تفسير العياشي، لأبي النظر محمد بن مسعود بن عياش العلمي السر قندي المعروف بالعياشي، تحقيق وتصحيح السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، إيران.

- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: محمد أحمد الأمد، وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- سر مريم بين الإنجيل والقرآن، حسن يوسف الأطير، مكتبة النافذة، ط٢، ٢٠٠٣ م.

- لسان العرب، بن منظور (٦٣ - ٧١١ هـ)، تصحيح أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

- السيدة مريم في القرآن الكريم، قراءة أدبية، حسن عبود، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

- علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، دار الشروق، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

- العهد الجديد لربنا يسوع المسيح يسوع المسيح وايضاً وصايا الله العشر كما في الإصحاح العشرين من سفر الخروج، طبع في سنة ١٧٣٧ مسيحية.

- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل الحسن الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.

- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٦٦٠ هـ)، أعدها وقدم لها محمد حلاق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- معاني الأخبار، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، انتشارات إسلامي، قم، إيران.

- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي، ط٥، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، شرئة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، مصر، ط٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

- المعجم الوسيط، د. ناصر سيد أحمد، و د. مصطفى محمد، و أ. محمد درويش، و أ. أيمن عبد الله، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م.

- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

- مريم ابنة عمران في المسيحية والإسلام دراسة مقارنة، عوني فتحي سليم، رسالة ماجستير في العقيدة الإسلامية كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٣ م.
- معجم أسماء العرب، إضاءة ونقد، أ.د. عبد العزيز مطر، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، مج ١٤، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- مريم العذراء المنزهة من الخطيئة الأصلية، القمص بالسيلي فانوس، بطريريكية الأقباط الكاثوليك، دراسات عقائدية، ط١، مصر، ١٩٩٠ م.
- مقدمة ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)، نشر الدكتور علي عبد الواحد وافي، القاهرة، ١٩٦٠.
- النص والأسلوبية، دراسة بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١، ٢٠٠٠ م.
- معايير تحليل الأسلوب، ميكائل ريفاتير، ترجمة وتقديم د. حميد الحمواني، منشورات دراسات (سال)، دار النجاح الجديدة - البيضاء، ط١، ١٩٩٣ م.